حول الأوزاعي أيضا

للأستاذ علي الطنطاوي

أشكر للكاتب الفاضل صاحب ترجمة الامام الأوزاعي رضي الله عنه المنشورة في الرسالة التاسعة والثمانين عنايته بدراسة تاريخنا الجليل ، واستخراج « جواهره » التي شغلتنا عنها « أصداف » غيرنا ، وأرجو أن يقبل هذه الملاحظات قبولاً حسناً ، وأن يعلم أن الذي حفزني الى نشرها إنما هو حرمة الحق ، وأمانة التاريخ

١ — يقول الكاتب في تحقيق نسبة الأوزاعي : (وقد اختلف في معنى هذه الكلمة ، فمن قائل إنها بطن من ذي الكلاع من اليمن ، وقيل بطن من همذان « بالذال » ، وقيل إن الأوزاع قرية بدمشق خارج باب الفراديس) اهـ

والصحيح أنه ليس بين هذه الأقوال اختلاف ، فالأوزاع اسم قبيلة من اليمن ، سكنت هذا الموضع فسمي بها — كما ذكر ياقوت — ونسبهم في حمير ولكنّ عدادهم في هَمْدان — كما قال في التاج — وهمدان — كما في اللسان — قبيلة في اليمن ، أما هَمذَان التي ذكرها الكاتب فمدينة مشهورة في أرض العجم ، ومجيب أن ينسب إليها الأوزاعي ، وأعجب منه أن نقل هذه الرواية عن ابن خلكان ، وهي في ابن خلكان في الصفحة التي نقل منها الرواية ، هَمْدان بالدال لا همذان بالذال !

وقد وجدت في كتاب — لايحضرني اسمه — أن الأوزاعي من العُقَيْبَة « قرية بظاهر دمشق » . والعقيبة اليوم حيّ كبير من أحياء دمشق ، بالقرب من السور خارج باب العمارة ، وهذا الباب هو باب الفراديس بعينه ، وهو لايزال موجوداً ، ولايزال داخله طريق موازٍ للسور ، يسمى طريق « بين السورين » ، فعلى هذا تكون العقيبة هي قرية الأوزاع

٢ — وقال الكاتب إن الأوزاعي (لم يكن يستعمل الرأي ، بل إنه — كما فعل غيره — عدل الى الكتاب والسنة) اهـ

والذي يفهم من هذه الجملة أن من يقول بالرأي يعدل عن الكتاب والسنة ، وهذا خطأ فاحش ، لأن أصحاب الرأي أو القياس ، لايعملون رأيهم ، ولايجرون قياسهم ، إلا في المسائل التي لم يرد فيها نصّ من كتاب ولاسنة ، فهم يرجعونها الى هذين الأصلين ، ويطبقونها عليهما ؛ وليس لمسلم أن يقول في الدين برأيه ، ويتكلم فيه بهواه ؛ والحنفية هم الذين يسمون بأصحاب الرأي ؛ وجميع الحنفية — كما يقول ابن حزم — مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي والقياس . وقد قدّم أبو حنيفة رحمه الله العمل بالأحاديث المرسلة على العمل بالرأي في مسائل عدة

ولعلّ الكاتب لم يقصد هذا الذي قد يفهم من كلامه !

٣ — وقال الكاتب : (ذهب بعض المؤرخين أمثال كولد زهير الى أن الفقه الاسلامي قد تأثر بالفقه الروماني ، وأنا أقول إن كان هذا صحيحاً فأحر بالأوزاعي أن يكون آخر المتأثرين به لأنه من أبعد الفقهاء عن الرأي) اهـ

فلم يهتم الكاتب بدحض هذه الفرية التي افتراها كولد زهير وأمثاله من المؤرخين ، ولم يبين أنها في رأي العلم خرافة من الخرافات ، وأن المحققين قد تكلموا فيها ، وبيّنوا خطأها ، بل كان جل همه أن يبرىء الأوزاعي منها ، ولو يسلم ضمناً بأن الفقهاء قد تأثروا بالفقه الروماني !

على حين أنه لايمكن أن يقوم دليل علمي واحد على أن الفقه الاسلامي مأخوذ من الفقه الروماني[1] ، إلا إذا كان القرآن مترجماً عن لغة الرومان ، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رومانياً خرج من أبوين عربيين ! والذي نقوله إنه إذا كانت هناك علاقة بين الفقهين ، فان الفقه الروماني المعروف اليوم هو المقتبس عن الفقه الاسلامي ، ودليلنا على هذا أن الفقه الروماني الحاضر جديد ، لفّقه طائفة من العلماء ، بعد أن اندثر الفقه الروماني القديم ، وهذا الدليل على علاّته أقوى من دليلهم على دعواهم ، فليثبتوا إن استطاعوا أن الفقه الروماني الحاضر هو القديم ذاته ، وليأتونا بالأسانيد الصحيحة والروايات المضبوطة ، كما نأتيهم نحن بأسانيد حديثنا ، وروايات سنتنا !

٤ — هذا وإن في ترجمة الأوزاعي كتاباً قائماً برأسه نشره من عهد قريب كاتب الاسلام الأمير شكيب ارسلان فلينظره الكاتب الفاضل

علي الطنطاوي

(١) نظن أن هناك فرقاً شديداً بين (التأثر) و (الأخذ) الرسالة